

بين رجفةٍ وأخرى

كريم عبد السلام

بين رجفةٍ وأخرى

1996

I

مجاعات تتجول بحرية

الخُبز

الهواء يمر على أرغفة مضمومة إلى الصدر

فيتسرب الدفء بسرعة

ماذا تعمل الأصابع؟

إذا رتقت ثقباً

ظهرت ثقوب .

*

على المنضدة..

دوائر من الشبع بأنفاس واهنة

تعرف الأيدي الطريق إليها

*

الأرغفة تُركت للحظات،

عندما يلامس الفم عرق الدفء المتبقى والطرارة

فالأسماك تُلقى حيةً إلى النار

*

كلما مرضتُ

تذكرت القضبات السريعة

ورائحة الخميرة

وحسبت أنها تمطر في ذلك الشارع:

الخبز تحت ملابسي

يدي تسنده

خطواتي بمحاذاة البيوت

ويدي الحرة تشق الهواء

وتبعد المزالق

المطر غمر رأسي وكتفي

وخرجت منتصرةً في النهاية.

*

أرغفة كثيرة منحتها أمى لجاراتها

أرغفة بيضاء صنعتها بيديها

وأخرى أصغر حجما وأدكن

جلبتها من المخبز فى السلة الزرقاء.

أفتح الباب وأرى أبواب جيرانى

فتحضر ملاحظهم من خلال أبوابهم

لا أحد منهم يشبه جيراننا القدامى

*

رغيفٌ منسىٌ تيبسٌ تماما

الغبار وصل حتى نكهته

وتغلب على الملح والكمون

أطحنه،

فكأى تمرنا على الدوم والخروب

أطحنه وأثبت نظرى على الحائط..

بقعة مهترئة من الطلاء

بقعة مستديرة بها علامات.

*

يا خبز..

كأن مناداته كفيلة بإحضاره ليد الجائع

*

كسرة

نفختُ عنها الغبار ثم قبلتها

عندما تسقط لقمة

تُصالح بالقبل

غير مرئيين

جاء دورنا لنبتسم.

لاشيء يمنعنا من الزحف نحو المحلات

ما دام آخرون يظهرون كلاً واجهنا مرآة

نتقدم ، فيندهش الحراس

تندهش عجائز متصايبات يعتقدن أن سرب نمل

يجذب الطعام الذى يحملنه.

أفضل الملابس ، نرتديها مرة ثم نحرقها ،

نستمتع بمرور الموسى على القماش الجديد

ونؤجل المعركة مع التخمة.

ما يزيد سعادتنا

أن الفرصة ستحين لتتأر من أرواحنا،

كثيرا ما سخرت من أجسادنا الثقيلة

المكشوفة والتائهة

المجهدة والمرعوبة

السائرة على أقدام هشة ،

والتي لم تملك فى أى يوم

ذلك الحضور الذى للأفكار والأمنيات .

الشَّع

الكبش مضجع يجترُّ طعامه

ما تقع عليه عيناه ، يبدو أخف من حقيقته ،

والنعاس

فَرَضَ حضوره كلذة.

ما الذى تحرك

فازداد الملوك واحداً ؟

وجدت المنضدة يداً تنقذها من الغبار

اعتدل المقعد المقلوب

وعادت الكتب ثمينة

شائٌ بالنعناع

مرّةً

سأسجل جميع الأشياء المبهجة

ما هو مبهجٌ وغائب

ما نتذكره لأننا في أمس الحاجة إليه ،

أسجل الغياب وأزنه مقابل البهجة .

شائٌ غائب

أكتب كيف أحسّيه في شرفة :

الكوب بين كفيّ ، كأننا في الشتاء

وكأنها ستمطر بعد قليل

كلما رشفت رشفةً ، تحرك الثقل لأعلى

يريد أن يصل لشيء
لكنه يتركز ثانية في القاع .

أكتب عن مناورتى :
أحصل على آخر قطرة
دون أن يعلق الثقل بشفتى .

الأطفال

أثناء بحثنا عن نقود ، عثرنا على أطفال

القروش والحلوى في جيوبهم .

الأطفال يخبرون عن أسمائهم وعن صفوفهم الدراسية ،

عندما توقفهم فجأة ، متقمصا دور المعلم ،

المعلم يوجه إليهم تهما مرتجلة فتكتسى ملامحهم بالرعب

ثم يقسمون إتهم لم يسرقوا ما في جيوبهم .

ضحكنا لإخفاء الصراخ فيما نقسم قروشهم بيننا

أحدنا ضرب كتف زميله ، وتمنى أن يعدو

إلى أن يتخلل الهواء مسامه وتُشلّ عضلاته .

بعد أول منعطف :

لا أطفال بالخلف

يفكرون فيما سيحكونه لأمهاتهم .

المصارع يتباهى

آخذ شهيقا وأحبسه فى صدرى
لا أحد يقدر على استخراجه سوى
أفعل ذلك عدة مرات فى اليوم ، لدفع ما يستجد .

لأن طغاة متنكرين بأثواب متسكعين
أحاول إثبات شىء ، بالانتقال من شارع لآخر
برأس عالٍ

وعينٍ تحرق كأنها تتحدى !

اخترتُ الغداء

حين تُطلب منى أن أفاضل بين الوجبات

ليلاً:

الوجبة ، غداً متأخر

في الصباح :

الجِمال تبتلع أكثر من حاجاتها تحسباً للرحلة.

لست محظوظاً إذ نجحتُ حتى الآن ،

أجبت من ظننى محظوظاً

- لاحظُ الابتسامة الواثقة

واليدَ التي تشارك في الحوار -

لابد للمرء من هدف يعيش لأجله ،

يعينه على البقاء ،

ويمنحه تلك الطمأنينة

التي للقديسين والعجائز

إجمالاً

كنت قطعت المسافة نفسها

لو أنجزت لوجبة العشاء .

المزايا الخفية

صورة المائدة بيد الساحر

الذى يجيد تمرير الحيوانات من ثقب إبرة .

الخدع هربت إلى الأبد ،

انسلت كروح في لحظة ما

لم يفكر بها قبل أن تحين ،

وعندما حانت لم يستطع اللحاق بها.

إذن،

الفاكهة لن تخرج من الصورة

، إذن ،

الصراخ والدهشة تساويا فى التأثير !

أصابعه لها حضور الجثة

التي تنادى على الروح :

لا أعبأ بك

إلى الجحيم يا لا شيء

التعفن غايتي التي اكتشفتها .

يا كوايبس

انتظري ، لا تنفجري من الغيظ

عاد المخلوق الفاسد إلى حجرته

لا لرعب الأطفال من الأرض الموحلة ،

والرسوب

له مزاياه الخفية .

II

جزيرةُ النساء

ستتسع الحجرة

تتراكم الأحجار حول المنضدة ، وتصنع شاطئاً صخرياً

تنمو عليه الطحالب ، والرمل يحيط بالكتب التي

أتركها مفتوحةً وأغيب .

طيور ستحلق على ارتفاع منخفض ،

لن تصطدم بالموقد في الركن أو حقيبة السفر .

ستتسع الحجرة ،

وستأتى نساء يقلن :

نحن نباتات ، ها هي زهورنا ،

في انتظار المطر

أترى ...

هنا لا يندمل مهما مُسح بالزيت المعطر !

ما الذى تعنيه بالقطف ؟

هل ترى تشابهاً بين زهورنا ، وهى تحيطك بحلقتهما

كالأشياء الغائبة التى تظهر فجأة قريبة من يدك ؟

يلمسن ملابسى ويندهشن من صرامتها

من احتوائها على الهواء فى أكثر من موضع

أخلعها ،

فيعتقدن أنى أخلع أعضائى

وأن للآلهة جلوداً مزركشةً وزعانف

وحين يسجدن

يعتقدن أن لا مفر من السجود.

داخل الحجره

حيواناتٌ تجهل ما المطاردة وما الذبح

اللغة ترن في الهواء ، ودائما يصحبهما شيئان :

الفاكهة والزيت المعطر .

أقضم الرغيف من منتصفه ولا أرى إله الظلام

يتسلل لجسدى

يلمحن طيفة وهو يحرك يدي وفمي

وهو يدفعني بقسوته لأضم واحدة ،

فيما تكون مستغرقة مع حركة دودة أو غافيةً بعد السباحة

أتأمل الطعام في القدر ، لكن الحقيقة :

إله النور يتأمله من خلالى

الماء يغلى

أين تذهب الفقاقيع ؟

أصابعهن تقرب الأغصان إلى النار

وتقرب النار إلى دمائهن

في يدي حبة كمثرى

إلهُ النور يترك لمساتٍ على الأرداف .

الموجُ يتمرن طول الوقت لإنزال دخلاء على شاطئى ..

عندما تحين اللحظة

عندما تبتعد الجدران حتى تغيب

ربما لا أكون منتبها لآثار الأقدام وهي تنطبع على رمالى

لذا،

أستعد بالفنخاخ

باكتشاف الحيل وتخزينها .

أمام الضربات المتتالية
سيتراجع الدخيل ،
وسيعلم شركاؤه المختبئون
أن فرصتهم معدومة.

III

أكلَ يومٍ ظلام !

داخل السياج

الكلاب تحنى رؤوسها ، متنقلة في صف واحد

الحركة :

بين العدو والتسكع

صدى النباح :

معلق في الهواء

كأنما أدركت أن روح الشجرة ، المهيمنة على المكان

تطلق تحذيرات .

*

المطر في الحديقة ، يبدأ كأصابع محبوبة

يتغاضى عنها النائم لتستمر في المداعبة

أصابع المحبوبة ، تتحول إلى أصابع أم شغوفة بالمعاقبة

كما في تلك الذكريات

كل قطرة بمفردها ، لا وزن لها

لا تنتزعك من غيابك ، إذا سقطت على خدك

لكن معا

ككل ما هو مؤلم وجارف

تخلف تلك الغصة ، التي يبدو معها المطر

وكأنه معدُّ سلفاً لإيذائك .

*

بعض المقاعد تنجو من البلل لكن لوقت قصير

إلى أن ينتفض الممددون عليها

مكتشفين _ بعد فوات الوقت _

أن المقاعد استخدمتهم كدروع

فيما ظنوا أنهم وجدوا البقعة التي تتحمل

ظلالهم وأحلامهم .

*

الفرع ، له حياته التي تنمو دون توقف ،

كائنٌ أعمى يتغذى على الداخل ، ولا يميز ضحاياه

من يعترض طريقة يتحول على فريسة

حتى الجمادات ، يسلبها تماسكها

يكفى أن يتركه صديقٌ بالقرب منك

أو يتركه المكان تحت خطواتك القادمة

وبعدها ،

لا يعود ممكناً التخلص منه

في خشخشة ورقة

وفي الحركة الهينة لستارة

*

تسقط قطرة على شفتك فتلعقها

انشغالك بصحيفة تحمى بها صدرك

سيحول بينك وتأمل السرور النباتى

ما يضيّعه الصحو

خرجنا حاملين ما نملك من أوانٍ وعلب ،

نريد تراباً يكفي لصنع بلد

البنات قابضات مثلنا على الأواني

بأصابع عارية من الزينة ،

والأواني تحيل إلى المائدة وإلى الشبع.

خلعن الفساتين وجلبن فيها ترابا

زاوية حقل سنزرعه

أو منحني لطريق قادم

المسافة ثابتة مع أقدام ليست قطارات

كلما صنعنا بلدا

أتى أضيق أو أوسع من رغبتنا.

أينما نتعب نتوقف ونمتلك بلداً

لا نحتاج أكثر من بلد للنوم

لا نرسم حدودا

ولا نبيد السكان الأصليين.

نستيقظ

فيتطوع واحد لإحصائنا :

أينا انسل من العالم إلى أول رصيف

مع آلة زمن بلا مؤشر وعيني حيوان

مشدودتين إلى المصير ؟

- وداعا يا خائن
- وداعا يا مغفلون .

الحشائش

ذهبنا إلى الحديقة ، أنا وهي
ظلامٌ كل يوم يتعد بالحديقة ، ثم يعيدها عند الفجر
لموضعها وسط العمارات .

*

خائف مثلها وأطمئنها :
كائنات صديقة تحرسنا
تعى أننا شركاء في المكان
وإن كانت لنا طريقتنا في اللمس والشم والمطاردة
قميصي أبيض
انطبعت عليه خطوط خضراء
قميصي ،
حتى لا تضايق خدّها الحشائشُ

*

تنمو بدون بستاني

قائمة

وتعوق حركة الأقدام عند السير

نلوكها ونخدق إلى النجوم

نلوكها ونتنفس بصعوبة .

*

ندى الفجر ، حول ملمسها إلى الطراوة ،

الحشائش ،

أطرافها المسننة اختفت داخل السرور

داخل النضارة

داخل العبير الذي لم يعد حكرا على الأزهار

يتحدث إلى الحديقة

يا مخزن الليل
أعوى وأنت ترددين عوائى
أموء وأنبح وأعدو على أربع وأتوقف
لأغير اتجاهى
أزحف وأهس كالدويبات فى النجيل
وأنت ترقبيني
بكل ورقة
بكل زهرة عديمة الرائحة.
*

يا مخزن الليل
مرى إخوتى المتشردين ليتركوا حذائى لقدمى
مرى الدود الذى يتحرك أسفل
فلا يصعد ويلتهم شفتى وأصابعى
مرى الشرطى فلا يركل ظهرى

وأنا غاف على حجرك
مرى الدوبيات فى النجيل
لتسمح لى بقبضة أسند عليها خدى
ساعة واحدة

*

يا مخزنَ الليل
الهواء البارد فرحان بفريسته
البيوت مليئة بالأحلام

يتحدث إلى النوم

عندى أربعة جدران وشرفة وملاءة مرسوم عليها أشجار بنفسجية
ومخدرات..
خُذْ رَأْسِي.

عندى ظلمةٌ آمنةٌ وأحبائي ممدون جوارى
والعرباتُ بعيدة عن أذني
خُذْ رَأْسِي الآن
ولو إلى الأبد.

أيها الفاشل..
اليقظة ليست من الفولاذ
الأرق خصم سهل .

IV

غرقى الهواء

نُطبق قبضاتنا ثم نُرخيها

أخبرونا عن أنفسنا بروح تهكمية
فبدونا ممثلين في أفلام قديمة ،
كل حركة نأتيها تبعث على الضحك .

يرشفون الشاي ، أقرئنا المسنون
ويتوجهون بالكلام لغائبين
يعتقدون أنهم يراقبوننا

*

لا نقول لهم :

نخطط لمعارك ، نطلق فيها إلى النجاة

أو القتل

لا نقول لهم :

لم يكن البقاء ممكنا داخل بطون أمهاتنا

بعد عبور الجراحين وهم يرفعون مشارطهم .

*

الرومانتيكية التي أقسمنا على حمل الكراهية إليها،
استدرجتنا ، أعطتنا محبةً لقلوبنا وأخذت الكراهية
إلى النار ،

شقت صدورنا وطبعت صورتها في العمق منا

كى نتعذب بها كلما أردنا تشويهها ،

مشينا وكل داخلنا إلى الخارج

رؤوسنا عالية

الخطوات تسيل من أحييتنا

أجمل ما فينا نستثقله ونحاول التخلص منه

لم نعد نتذكر ما فرنا به

من شقَّ صدورنا ولم يلائمها

وما فائدة المرايا بأعماقنا .

*

نطبق قبضاتنا ثم نرخيها

الهواء يتجهز لعمل ما

نعرف ذلك من دوامات التراب ،

التي تزداد يوما بعد يوم

نرقبه مرتعبين من وراء النوافذ وهو يبحث عن ثغرة

ولا تتسع أفواهنا للصرخ .

دودةٌ داخل حجر

في أزمنةٍ سالفة
كانت السلام الممدودةُ بين السماء والأرض
مرئيةً للدراويش
يتهادون كمن تعودوا المشى على الماء منذ ولادتهم
الأصابع ،
راجعتُ طريقة المسح على الرؤوس
ظاهرُ اليد
استعد لتلقى القبلات
التي تتراكم كنقاط تسيل من شمعة .
*

نظرهم متجةً لأقدامهم
حيث تكمن الآيات التي تهب نفسها

لمن يحدق بتجردٍ ورهبة :

دودة داخل حجر

عين ماء توجد ثم تختفى ثانية.

*

يصعد الدراويش

ترفعهم العلامات ،

إلى أن يسيروا فوق رؤوس المريدين

الذين تدمع عيونهم تعاطفاً

وكلما مر درويش بضاحية

هرولوا خلف خطواته

يسقط واحد بين النسيج والبهجة

فتسحقه الأقدام على الفور

يسقط ثان

فينسحق أيضا

*

كانوا موجودين قبل أى أحد - الدراويش ،

يجلسون القرفصاء ، فى انتظار المريدين

الذين يقفزون من الماكينة ويحركون أعضائهم تحت الشمس

كلما اكتمل صف
تقدم درويش إلى عجلة القيادة

*

كانوا يعرفون الرأس الذى يسهو أثناء التتمتات
فيتتقبونه إلى أن يتوارى
يسمحون له بالهرب عبر فرجة يصنعونها
أثناء انهماكهم بالأوراد.

والمريدون يعملون النهار

ثم يرون الدراويش فى أحلامهم
على هيئة طيور خضر
ترفعهم إلى جبال الياقوت.

مقهى الحرية

الملائكة جنب الشياطين !
الملائكة بأجنحة فضية ، مصنوعة من معدن غالٍ
لماع

والشياطين بجلود سوداء تقليدية
تبدو قرونها هشة كأنها صنعت من الفبر.

تجاهل طفولة تمتطى الحمير النافقة في ترعتنا ،
يقول ملاك ..

البهاق على جلودها ، جوار لدغات الذبابة
التي تسبب بقعا حمراء بحجم الفطائر.

تجاهل غرقى الهواء

يقول شيطان ..

بعيونهم الوحشية، ييصقون دما فى ردهات المستشفيات

ثم يهربون ليدخنوا الحشيش

ويضاجعوا زوجاتهم مرة أخيرة

*

فات الوقت

حينما كان ينظر كل منهم ينظر بتحدٍ نحو الآخر

متعجبا من غباوته

بل ربما التقت دمعتان مختلفتان

على رخام المنضدة

كلما همهم أحد الفريقين بشيء عن حاله

حكاية

كلما هربا عادت بهما إلى الورشة
فتعمل اللطيمات على إفاقتهما

كل لظمة تقطع نصف دائرة في الهواء ، قبل أن تصل
إلى هدفها

يُدّها تهبّط وتصعد

أذرع الولدين دروع مستقيمة

الأم تضرب والأذرع تحمي الوجهين والرأسين

يتوقف الأتوييس

فتجذبهما إليها.

*

قصة هروبهما بصوت عال

لجارها المشغول بصحيفته ، الذى ينظر الآن عبر النافذة

حين لا تجد رداً ، تعيرهما بخوفهما من الماكينات

يتوقف الأتوبيس

فيتشبهان بجلابجا

النشال طعن راكبا فأحاط ذراعها العنقين معا

واندفع الركاب للأمام ، بينما تقدم آخر من الخلف

لجمع النقود فى كيس من البلاستيك .

*

المرأة التى تقيأت ، تسند رأسها على حافة المقعد

والجريح يكتنم الدم بمنديله ، والعمارات تمشى إلى الخلف ،

والأكف الأربع تمسك بالجلباب ، والرجل المهندم

يخرج حافظته قبل أن يصل إليه والفتاة التى تبولت

تبكى دون صوت ، وعامل البناء يبتسم لأنه مفلس

والأم تلقى نقودها فى الكيس ، وعيون الولدين تنبهر

بالمطواة.

*

لا يخططان جيداً

كل مرة

تصطادهما الأُمُّ من الحديقة نفسها
حيث ينام غرباء طاعنون في السن .

متطوعون يظهرون قدرة على العدو

لا تتناسب مع بدانتهم

يبتسمون بفخر

بعد تسليم الولدين لقبضتها .

الكومبارس فى حلمه

إحدى يديه فى جيبه
والأخرى توسوس بعملتى تليفون
كلامه عن السعادة
يعنى سيره فى الطريق إلى الكنز .

*

صباح الخير يا ظلى
بالأمس ، سُمح لى بتناوب الصفع
وكنت عنيفاً كأننى أعددت للأمر
اعترف البطل :

لم أضربه فى السابق لأنه مخطئ
ضربته فقط

*

صباح الخير يا صديقى الكفيف

بالأمس ، أسرّ لي البطل :

يوما ما ستكون مطرقة

تسعى وراء زجاج

أسرّ لي أيضا :

أنت أكثر شجاعة مني

تتحمل اللطمات ويداك إلى جانبيك

بفمٍ مدمومٍ

وعينين دامعتين .

في الصباح الذي يأتي مع الأتوبيسات
تتحرك في مسار لا يمر إلا بالمزابل الكبيرة
حيث الكنوز في انتظار مكتشفيها .

الكيس البلاستيكي بيد
والأخرى تمسك بعصا التقليل
الشتائم والحجارة
لقطط لا تتخلف عن أى سباق
التوسلات ،

لكناسين يريدون أخذ كل شىء لعربتهم
وخلفها مساحة من نجيل الحديقة
سويت بالأرض من أثر نوم ثقيل .

شاب

فى الصباص الذى يأتى مع القىظ
يتحرك باتجاه أول مخبز فى السلسلة
رغيفان ،

مقابل ارتجاله أغنية

1\4 جنية ،

لكل صفةة يتلقاها من الخباز

السجائر ،

من عامل المقهى

بعد إبراز عضوه لتلميذات يصرخن

بصوت غنائى

*

على مساحة من نجيل الحديقة

سُويت بالأرض من أثر النوم

يصعد شاب سلا لم فتاة

مباركاً من النباح

وفي حراسة أعمدة الكهرباء.

V

خطة لتعذيب المكان

كل يوم

أضيف إليها تفصيلاً أو منحنى

عندى مخزن امتلأ بالآلات ،

آلاتٌ هي توافقاتٌ بين أحجارٍ وأجزاء معدنية

وأدوات للصيد أهملها أصحابها .

كل شيء يمكن أن يكون ترساً في آلة التعذيب

حتى دمىة الطفل

حتى الهواء

قداى أىضا

أضغظ بهما على بقعة بعىنها

أقفز وأهبط مستمتعا بالأنىن

لمزىد من الإىلام :

ىا بقعة

سأقفز ثم أهبط إلى مالا نهاىة .